

## حول تاريخ السودان الغربي للمؤرخ "السعدي" علامات منهجية وتقاطعات

عبد السلام انويكّة

أستاذ باحث في التاريخ المعاصر

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين

تازة - المملكة المغربية



### ملخص

يدخل مؤلف "تاريخ السودان" لعبد الرحمن السعدي التومبوكتي ضمن نصوص تاريخية مصدرية تقليدية، والذي بقدر ما تأسس على غنى متنه بما هو خبري إخباري تاريخي يخص بلاد المغرب خلال القرن السابع عشر الميلادي تحديداً نصفه الأول، بقدر ما هو على درجة من القيمة التاريخية لما يعرض له من معطيات مجالية ووقائعية تعكس ما كانت عليه بلاد السودان الغربي في علاقتها بالسلطة السعدية. ولعل القيمة التراثية والعلمية للمؤلف كحولييات أساسية لدراسة تاريخ وحضارة بلاد السودان الغربي، تقوم على ما يحتويه من معالم معرفية ومنهجية وعلى موقعه ضمن الأسطوغرافيا السودانية والمغربية خلال الفترة نفسها. وللإشارة فمعظم الدراسات العلمية الأكاديمية التي توجهت بعنايتها لزمّن بلاد السودان الغربي خلال العصر الحديث، اعتمدت المؤلف الذي يبرز جزء منه ما كان عليه المغرب من امتداد مجالي وسياسي وثقافي وحضاري في الصحراء وبلاد السودان الغربي، وما حصل من تأثير وتأثر في تشكيل وتطوير نمط حياة مشتركة كذاكرة. وللوقوف على عناصر تباين وتقاطع بين مؤلف "السعدي" ومصادر تقليدية حول بلاد السودان الغربي والمغرب الأقصى، يستحضر المقال نموذجين هما أحمد بابا التومبوكتي صاحب "نبيل الابتهاج بتطريز الديباج"، والصغير الافرائي صاحب "نزّهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي". وتبقى الإشارة إلى أن مؤلف "تاريخ السودان" الذي نشر لأول مرة في باريس ١٩١٣، يحتوي ويجمع رواية السعدي عن تنقلاته ورحلاته لعدة كيانات سياسية بالسودان الغربي، كما بالنسبة لمملكة "سنغاي" التي قامت على مجال واسع من مالي فكانت بحدود ممتدة من المحيط الأطلسي غرباً إلى نيجيريا الحالية شرقاً. ومن هنا فهو بأهمية تاريخية ليس فقط بالنسبة لبلاد السودان بل المغرب الأقصى كذلك خلال فترة حكم الدولة السعدية، وما ورد في المؤلف هو نتاج تراكمات ثقافية حضارية طويلة المدى بهذه المنطقة من الصحراء ومن السودان، تحضره مدينة تومبوكتو بشكل معبر نظراً لموقعها ولما تقاطع بها من أحداث ووقائع وتفاعل فكري.

### كلمات مفتاحية:

عبد الرحمان السعدي، الكتابة التاريخية، تاريخ السودان، تاريخ المغرب الحديث، مملكة سنغاي

### بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٢ أكتوبر ٢٠١٥  
تاريخ قبول النشر: ٢٣ فبراير ٢٠١٦

DOI 10.12816/0051260

### معرّف الوثيقة الرقمي:

### الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

عبد السلام انويكّة، "حول تاريخ السودان الغربي للمؤرخ "السعدي": علامات منهجية وتقاطعات". - دورية كان التاريخية. - السنة الحادية عشرة - العدد التاسع والثلاثين؛ مارس ٢٠١٨، ص ١١٥ - ١٢٢.

ومقدمة  
محدوديته، سوى مع بداية ثمانينيات القرن الماضي<sup>(١)</sup> بل ويسجل أن ما هو متوفر حول علاقات المغرب بأفريقيا، رغم غزارته وتواتره، يقدم صورة ثابتة لا بد من الاشتغال عليها وتعميق النظر إليها. ولابد من التمييز بين جزئياتها ورسم خط لتطورها، على أن هذا أمر وجهه موكول للأبحاث والدراسات العلمية<sup>(٢)</sup>، وإذا كانت قد تراكمت عدة أعمال أكاديمية تاريخية لعدد من الباحثين في هذا الاتجاه، توزعت على التحقيق وعلى دراسات

يرتب "تاريخ السودان" للسعدي، ضمن مصادر الدراسات التاريخية الأساسية، حول بلاد السودان الغربي والأوسط خلال العصر الحديث. ورغم أنها كانت سباقة من المهم الإشارة إلى أن عناية الجامعة المغربية بالأبحاث والدراسات الأفريقية لاتزال حديثة العهد، فهي لم تعرف تراكما في هذا المجال على

تمت بواسطة مدرسة اللغات الشرقية الحية. النسخة التي تم الاشتغال عليها في هذا المقال، هي من سلسلة كتب اليونيسكو التصويرية الخاصة بأفريقيا . (Oeuvres Representatives).

وقد تمت إعادة طبعه من طرف وتحت رعاية منظمة اليونيسكو، على إثر توصية من طرف خبراء الهيئة الدولية للفلسفة والعلوم الانسانية "١٩١٣"، المؤلف يتوزع على ٣٨ باب وكل باب هو موضوع أو قضية تاريخية معينة، بحيث هناك الأخبار والأحداث، والترجمة، وبنسبة (٩٥%) من هذه الأبواب الواردة في المؤلف تبتدئ بـ ذكر. ويمكن الحديث عن عشرات المصادر التاريخية الخاصة بأفريقيا الغربية، وهي المصادر التي تحدثت عنها وجمعها الباحث جوزيف كيوك، Josephcooq في كتاب صدر منذ حوالي العقدين من الزمن بعنوان:

Recueil de Sources Arabes de l'Afrique Occidentale du 8ème au 13 siecle Paris ,1985.

وهذه المصادر هي التي هيأت لظهور مصادر جديدة، منها كتاب تاريخ السودان "للسعدي". الذي من علاماته المميزة تباين الطول وعدد الصفحات من باب لآخر، ومن صفحتين في الباب الواحد إلى خمسون صفحة، وهناك أبواب هي عبارة عن استدراقات، لما تم نسيانه من طرف المؤرخ. وهذا فيه ما يثبت أن مواد هذا المؤلف لم يتم جمعها دفعة واحدة، وعليه فقد كان يقوم بإثبات كل ما يقع للمؤلف في فصل، وهذا ما ترتب عنه تقطع في تسلسل الأحداث وفي كرونولوجيا المؤلف.<sup>(٦)</sup> ومن خلال قراءة أبواب الكتاب يظهر أنها تتوزع على ثلاث اهتمامات أو أهداف أساسية، قد تكون كتبت خلال فترات وبشكل منفصل. أولاً: الترجمة لبعض الاعلام البشرية وهي تتضمن معلومات هامة. ثانياً: ذكر ما تعلق بالجوانب الحضارية والسياسية والعسكرية لبلاد السودان، ثالثاً: أبواب عبارة عن رحلات قام بها المؤلف نفسه. وعبر هذه العلامات والمستويات الثلاث الظاهرة في هذا المؤلف هناك تباينات في الأسلوب المعتمد تجاه كل غرض من هذه الأغراض.<sup>(٧)</sup> والعلامة الأخرى هو أن الفصل الأخير من المؤلف (فصل ٣٨)، يبدو وكأنه بداية جديدة في الكتابة لجزء جديد ثان، بحيث المؤلف يفتتح هذا الفصل بالحمدلة.<sup>(٨)</sup>

## ٢/١- قصدية التأليف والوعي بالموضوع وبالكتابة التاريخية

كتاب تاريخ السودان عمل وتأليف لشخص ينتمي للفترة المدروسة (بداية العصر الحديث)، وهو تأليف سوداني يحضر- في متنه السودان الغربي والمغرب الأقصى على حد سواء، هذا بحكم الارتباط والأحداث المشتركة في جوانب عدة، بين المجالين الجغرافيين، وثالثاً فإن هذا الكتاب هو تأليف تاريخي، اتخذ صاحبه من التاريخ موضوعاً عن قصد، فحضره وعي ممارس في الكتابة التاريخية. ومن هنا، فإن هذا العمل يسمح بتحقيق مقارنات في الكتابة التاريخية خلال هذه الفترة، بين المنطقتين وبين المؤرخين من حيث شكل ومضمون ومنهجية الكتابة، وحتى من حيث علمية وموضوعية الكتاب.<sup>(٩)</sup>

وهنا يطرح سؤال التأثير والتأثر وقيمة التحول في الكتابة التاريخية، ودرجة الجمود المنهجي والتواصل الحضاري، بين بلاد السودان الغربي والمغرب الأقصى- خلال هذه الفترة والفترات

مفتوحة حول بلاد السودان الغربي. بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ومعهد الدراسات الافريقية الحديث العهد. فإن معظم هذه الأبحاث على قلتها اعتمدت على إرث هام من مصادر تقليدية ذات ارتباط وثيق بالبيئة المحلية لبلاد السودان الغربي. وهذه الوثائق المصدرية بقدر ما شكلت مادة علمية دسمة لهذه الأعمال والأبحاث، بقدر ما هي في حاجة إلى إعادة نظر وإلى نقد على ضوء مناهج حديثة. ففي هذا الإطار يرى ذ. العروي أننا أهل كتاب وكتابة، أما الأفارقة فهم أهل رواية غير مدونة.<sup>(٣)</sup>

ومؤلف تاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي موضوع المقال، يدخل في نطاق أدبيات أساسية تقليدية لدراسة بلاد السودان الغربي والأوسط. نتوخى إبراز قيمتها التراثية العلمية كحوليات، ترتبط شكلاً ومضموناً بثقافة محلية مع أنها لا تخلو من لمسة رسمية.<sup>(٤)</sup> وذلك من خلال الوقوف على علامات معرفية ومنهجية لهذا المؤلف، وعلى مكانة المؤلف ضمن الأسطوغرافيا، ليست السودانية فحسب بل المغربية كذلك. وعلى مستوى نفس الفترة الزمنية إنها من خلال نماذج فقط. أسئلة وغيرها حاولنا مقاربتها وإيجاد أجوبة لها، من خلال تصميم توزع على محورين أساسيين.

## أولاً: المؤلف والمؤلف والتأليف التاريخي

### حول بلاد السودان الغربي والمغرب خلال

### العصر الحديث

#### ١/١- من هو عبد الرحمان السعدي وماهي علامات مؤلفه

ولد "السعدي" في مدينة تومبوكتو بمالي وعاش ما بين (١٥٩٦-١٦٥٥)، مارس القضاء والإمامة في مدينة جني، التي اعتبرت آنذاك مركزاً علمياً إسلامياً هاماً. من مؤلفاته "تاريخ السودان" الذي نشر- لأول مرة في باريز عام ١٩١٣، تحدث السعدي فيه عن تنقلاته ورحلاته، لعدة كيانات سياسية في السودان الغربي، كما الحال بالنسبة ل: مملكة "سنغاي" التي قامت على مجال واسع من مالي، فكانت حدودها تمتد من المحيط الاطلسي غرباً إلى نيجيريا الحالية شرقاً. ومؤلف "السعدي" واحد من أهم مصادر التاريخ ليس فقط بالنسبة لبلاد السودان الغربي، بل حتى بالنسبة للمغرب في زمن الدولة السعدية. وما أورده "السعدي" في هذا المؤلف، هو نتاج ترسبات وتراكمات ثقافية حضارية، طويلة المدى بهذه المنطقة من الصحراء ومن السودان، ومدينة تومبوكتو حاضرة في هذا المؤلف وبشكل معبر، بالنظر لموقعها ولما تقاطع بها من أحداث وأفكار، فقد كانت الكتب بهذه المدينة ذات قيمة عالية وكان هناك ارتباطاً لهذه الحاضرة السودانية مع الشمال الافريقي، ومن هنا تطور الفكر و الفقه والعلم والأدب، وهي القضايا التي وجدت من يؤرخ لها، ومن هؤلاء المؤرخين عبد الرحمان السعدي.<sup>(٥)</sup> الكتاب هو من القطع المتوسط، يظم ٣٢٦ صفحة، ثم نشره لأول مرة من طرف هوداس المستشرق بمشاركة تلميذه بنوة benoit . تم الاعتماد في تحقيق هذا المؤلف على عدة نسخ مخطوطة، وعملية النشر-

وحضور مغرب الدولة السعدية، بكيفية خاصة خلال العقود الثلاثة الأولى من ق ١٧ في بلاد السودان، لم يقتصر فيها المؤلف على الأحداث العسكرية والامتدادات، بل رصد الاحوال الاجتماعية الاقتصادية الحضارية المغربية، في هذه المناطق من الصحراء.<sup>(١٦)</sup>

ومن خلال دراسة هذا (المؤلف/ الكتاب) في إطار علاقات مغربية مع بلاد السودان الغربي. يمكن الوقوف على دلالات هامة تخص كون المغاربة منذ الفتح الاسلامي، كان لهم فضل كبير في إحداث متغيرات، ونقله نوعية في تاريخ غرب افريقيا، وكان لهم اسهام في إدراج حضارات حوض الابيض المتوسط، وادخالها إلى مجتمعات افريقيا جنوب الصحراء.<sup>(١٧)</sup> وقد أكدت الدراسات على خاصية اساسية في سياسة المواجهة السعدية للاطماع البرتغالية في المنطقة، من خلال اعطاء السبق لتعميق العلاقات بين المغرب والسودان، ولهذا فقد حاولوا مراقبة أهم المحطات خاصة توات التي تم فتحها، وذلك قبل مراقبة المناطق القريبة من مراكش كما الحال بالنسبة لتادلة و دكالة.<sup>(١٨)</sup>

#### ١/٤- الشروط السسيوثقافية التي أثرت في شخصية مؤرخ

##### مملكة سنغاي

عُرف "السعدي" بمؤرخ مملكة السنغاي، وهو من أسرة عريقة في العلم بمدينة تومبوكتو مسقط رأسه عام ١٥٩٦، أي بعد وفاة محمود كعت صاحب مؤلف "الفتاش". شروط تاريخية ومجتمعية عاش فيها وجعلته يتأثر بعدة ظواهر وشخصيات وأحداث... فقد تلقى تعليمه على يد عدد من المشايخ منهم أحمد بابا التيمبوكتي الشهير. اهتم بالثقافة واشتغل بالتجارة، وعمل إماماً في مسجد مدينة الغرباء، لأن المدن الافريقية في هذه الظروف على إثر تحولاتها الثقافية والحضارية، كانت في الغالب تتركب من مجالين مدينة الغرباء وهم التجار والفقهاء ومدينة الأهالي.<sup>(١٩)</sup>

وفي هذه الأجواء السياسية الثقافية، تولدت رغبة الكتابة التاريخية عند "السعدي" وهي الأجواء التي تأثر بها. ومن جملة ما تأثر به هناك: أحوال مدينة تومبوكتو وحركتها وكثرة العلماء بها والأولياء والصالحين والزاهدين... كذا حركتها التجارية.. وإلتقاء الطرق بها.<sup>(٢٠)</sup> تأثر السعدي بعدد من العلماء الذين تحدث عنهم من خلال زيارتهم لتومبوكتو، من أجل التدريس في مدارسها، ومن مختلف البلاد الاسلامية كالمغرب والاندلس والحجاز ومصر... كذلك الطلبة الذين توجهوا إليها من السنغاي والنيجر... كذا بروج الكتب واستنساخ المخطوطات.<sup>(٢١)</sup>

تأثر السعدي بعدد من الرحلات التي قام بها إلى عدة مناطق من تومبوكتو إلى مسينا، وبأخرى قام بها من مدينة دينيني إلى تومبوكتو، هذه الرحلات الميدانية مكنت السعدي من ذكر وكتابة أوصاف دقيقة لأمكنة وقبائل واحوال اقتصادية وأمن ووسائل نقل وغيرها.<sup>(٢٢)</sup> وتحدثت بعض الكتابات عن تعرض "السعدي" لبعض المضايقات من طرف باشا مدينة دينيني، وعن إنصاف الحاكم المغربي الاعلى في مدينة تومبوكتو له، وأنه على إثر هذه المضايقات وهذا الانصاف تحول إلى منصب الكتابة، إلى جانب عدد من الباشوات المغاربة الذين صاحبهم في رحلاتهم.

السابقة. ففي مقدمة كتاب تاريخ السودان "للسعدي"، هناك اعتراف واضح بأن تاريخ المنطقة كان إلى حدود زمانه تاريخ رواية شفهية. وهذه الرواية معرضة للضياع وبالتالي لابد من الكتابة والتدوين، ففي هذا السياق يقول السعدي: "فقد أدركنا أسلافنا المتقدمين، أكثر ما يتوانسون به في مجالسهم، ذكر الصحابة والصالحين ... ثم ذكر أشياخ بلادهم وملوكها وسيرهم، وقصصهم وأنبأهم وأيامهم ووفياتهم، وهو أحلى مايرون وأشهر ما يتذكرون حتى انقرض ذلك، ولما رأيت انقراض ذلك العلم ودروسه... وأنه كبير الفوائد كثير الفرائد. لما فيه من معرفة المرء باخبار وطنه وأسلافه فاستعنت بالله سبحانه في كتب ما رويت من ذكر ملوك السودان... وذكر تيمبكت... وذكر بعض العلماء والصالحين الذين توطنوا فيها، وغير ذلك إلى آخر الدولة الأحمديّة الهاشمية العباسية، سلطان مدينة حمراء مراكش.<sup>(٢٣)</sup> وعليه فمن خلال النص الذي أورده السعدي في مقدمة مؤلفه، يظهر أنه كان على وعي وكانت عليه مسؤولية تجاه تدوين وكتابة تاريخ المنطقة، ومن هنا قيمة المؤرخ وقيمة تدوين وكتابة تاريخ المنطقة وقيمة هذا العمل/المؤلف.

#### ١/٣- المؤلف "تاريخ السودان" كمصدر تقليدي لتاريخ

##### المغرب الحديث

كل الدراسات العلمية والأكاديمية التي توجهت بالبحث إلى بلاد السودان الغربي، بكيفية خاصة خلال العصر- الحديث، توقفت واعتمدت على مؤلف تاريخ السودان للسعدي. والكتاب في جزء منه يبرز ذلك الامتداد المجالي والسياسي، والثقافي والحضاري للمغرب في الصحراء وفي بلاد السودان الغربي، ويبرز ذلك التأثير والتأثر في تشكيل وتطوير نمط الحياة. والمؤلف كمصدر تقليدي لتاريخ المغرب الحديث، جاء مكملًا لما ورد في كتب الرحلات حول المنطقة، وفي فترات سابقة كما الحال عند ابن بطوطة، الحسن الوزان،... (القرن ١٤ م - القرن ١٥ م). ويعرض المؤلف للكثير من الأحداث منذ مرحلة التأسيس عند الدولة السعدية، فيذكر مثلا المجال الترابي للامتداد السعدي في بلاد السودان على عهد أحمد الأعرج ومحمد الشيخ، وأهم الاصطدامات وردود الفعل بين الطرفين (محمد الشيخ - إسكيا إسحاق ١٥٤٤م).<sup>(٢٤)</sup> وحملة أحمد المنصور السعدي حاضرة في هذا المؤلف، وبشكل دقيق، كقوة عسكرية ومسالك طرقية وإعداد وكرهات... وهي الحملة التي توجهت إلى سنغاي عام ١٥٨٤م، ولم يتحقق منها أي شيء في المرحلة الأولى.<sup>(٢٥)</sup> تلك الارتباطات بين المخزن المغربي وبلاد السودان، حاضرة من خلال شخصيات وعائلات مغربية... في هذا المؤلف.<sup>(٢٦)</sup>

الحملة السعدية الثانية لسنة ١٥٩٠ التي جاءت على إثر رد عنيف، من طرف الأمير إسكيا إسحاق، الذي رفض مغادرة منجم تغازي، وكانت قد قصدت القضاء على مملكة السنغاي.<sup>(٢٧)</sup> وكل النقاط الاستراتيجية التي تم اتخاذها انطلاقًا من مراكش، وما أعده الباشا جودر من تنظيم وانتقاء للقادة المرافقين.<sup>(٢٨)</sup> كذلك ردود الفعل السودانية (في تومبوكتو والنواحي)، كلها أحداث وإفادات واردة في مؤلف السعدي التي من شأنها تقديم الكثير من الاشارات، في مقارنتها مع ما أورده، مصادر أخرى مغربية سودانية (نيل الابتهاج، الفتاش، نزهة الحادي، الفشتالي...).

وإذا كان مؤلف "تاريخ السودان" يمثل عمق الثقافة العربية الإسلامية وأن نكهته رسمية في إطار حوليات بلاطات.<sup>(٢٩)</sup> فإن هذه الحوليات امتدت أحياناً على مساحة زمنية كبيرة، وهذا تميز عند "السعدي" فنجدته يقول: "ذكر الوفيات والتواريخ من العام الثاني والأربعين والألف إلى آخر العام الثالث والستين والألف..."<sup>(٣٠)</sup> فإذا البعد الاخباري عنده يمكن تلمسه في مقدمة المؤلف، والجزء الأهم من هذه الخبريات توجه بها إلى البيئة المحلية وإلى بلاد السودان.

ومن مجموع ٣٨ باب في هذا المؤلف، خصص باب واحد (الباب ٣٠) للحديث عن تاريخ وملوك الدولة السعدية، وباب واحد خصصه للتعريف بالطوارق، (الباب ٨) وهناك بابين آخرين بطابع وصفي الأول (الباب ٣) خصصه للحديث عن استيلاء كنكن موسي (منسي موسى) على مملكة السغي. و باب ثاني (باب ٣٢) حول زيارات المؤلف لبلاد ماسنة وقد عنونه هكذا "ساحة مؤلف الكتاب إلى بلاد ماسنة"، وربما درجة تأثر المؤلف بإستاذه " أحمد التيمبوكتي". هي التي جعلته يخصص له بابا واحداً ووحيداً تضمن نبذة حول كتاب نيل الإبتهاج بتطريز الدباج، الذي أورده السعدي هكذا "كتاب الدليل لأحمد بابا". باب واحد كذلك هو الذي خصصه "تاريخ السودان" وهو الأخير ، وعليه ملاحظات وقد أورده هكذا "تاريخ السودان" من ١٠٦٣ الى ١٠٦٥ بداية هذا الباب مخالفة لما أورده المؤلف في باقي الأبواب، وكأن هذا الباب ( باب ٣٨) هو بمثابة مدخل جديد كجزء ثان، من الكتاب لكن الموت كانت أقوى من إرادة "السعدي" وهو يقول في هذا الشأن «الحمد لله وحده ومما حدث بعد ما مضى من التاريخ».<sup>(٣١)</sup> فإن من جملة ٣٨ باب من أبواب كتاب تاريخ السودان هناك ٣٢ باب إبتدأت بذكر....، وستة أبواب فقط هي التي تباينت عناوينها بين الترجمة، الرحلات، التعريف. مع الإشارة إلى أن معظم صفحات هذا المؤلف تتكون من ١٩ سطر مع استثناءات محدودة، وداخل كل سطر من السطور لا يتجاوز عدد الكلمات ١٢ كلمة.

## ٢/٢- المصادر التاريخية لمؤلف تاريخ السودان

فيما يتعلق بالمصادر التي إعتددها "السعدي" في مؤلفه، لم يخصص لها جانباً، كما حصل عند التيمبوكتي مثلاً في نيل الإبتهاج بتطريز الدباج، بل وردت في سياقات الكتابة عند وقوعه عليها للاستشهاد، ويأتي أحمد بابا التيمبوكتي (الأستاذ) (١٥٥٦-١٦٢٧) في مقدمة مصادر المؤلف.<sup>(٣٢)</sup> وإذا كان "لفي بروفنسال" قد اعتبر هذا الكتاب ضمن أهم المصادر المغربية المتعلقة بالتراجم فأورد "إن أحمد بابا التيمبوكتي جدير بأن يسجل إسمه ضمن المؤرخين غير المباشرين للمغرب أواخر القرن السادس عشر- الميلاي"<sup>(٣٣)</sup> وسواء أحمد بابا، الفقيه المؤرخ والشخص، أو مؤلفه نيل الإبتهاج، فكلاهما من العناصر التي أثرت في كتابة وكتاب "السعدي"، بحكم كون هذا الأخير تتلمذ على يد الأول (الشيخ والمريد...)،<sup>(٣٤)</sup> ويظهر اعتماد ع السعدي على ما كتبه أحمد بابا وعلى مؤلفه السابق الذكر أساساً، من خلال هذه النصوص وهذه المقتطفات من كتاب تاريخ السودان: «قال العلامة الفقيه أحمد بابا رحمه الله تعالى، خربت تمبكت ثلاث مرات الاولى على يد سلطان موش، والثانية على يد سن علي، والثالثة على يد الباشا

وأن هذه الرحلات مكنته من توسيع آفاق معارفه، وبالتالي إقدامه على مشروع تأليفه لكتاب تاريخ السودان.<sup>(٣٥)</sup> وكانت لشخصية أحمد بابا التيمبوكتي الأستاذ، أثر بليغ في تكوين السعدي وفي علامات مؤلفه ، فهو من المصادر التي اعتمدها للاستشهاد ولتوثيق عمله التاريخي.

## ثانياً: الكتابة التاريخية عند عبد الرحمان

### السعدي: الأسس والتميزات

#### ١/٢- الجوانب المنهجية المعتمدة وبنية المؤلف

ينطلق "السعدي" من وعي وقناعة ذاتية، على أنه مقدم على كتابة تاريخية تخص مجالاً معيناً هو بلاد السودان الغربي. وهذا الاقدام انبنى على أهداف واضحة عندما قال "ولما رأيت انقراض ذلك العلم ودروسه... وأنه كبير الفوائد... لما فيه من معرفة المرء بأخبار وطنه وأسلافه... فاستعنت بالله سبحانه في كتب ما رويت من ملوك السودان... وذكر تمبكت... وذكر العلماء..."<sup>(٣٤)</sup> وعليه نلمس أنه اتجه إلى التاريخ وكتابه كمؤرخ، أين يظهر ذلك من خلال مؤلفه كتوزيع، كمحتوى، كأسلوب. من خلال قراءة الكتاب يظهر أن "السعدي" كتب سيراً على منوال سابقه، وبالطريقة المؤلوفة خاصة عند الذين تأثر بهم وأخذ عنهم كما الحال عند أستاذه أحمد بابا التيمبوكتي بحيث يقول: "وقد رأيت في كتاب الذليل..."<sup>(٣٥)</sup> فجاءت تجربة السعدي عبارة عن سرد خبري تاريخي، بنصوص وردت في مؤلفه عبارة عن حوليات، بحيث يذكر السنة، ويأتي على مجموع أحداثها وأخبارها فيقول مثلاً "وفي يوم الخميس الثامن من الربيع الثاني في العام الثامن والأربعين والألف توفي الشيخ الفقيه العالم الفاضل... وفي أوائل شعبان توفي أخونا سليمان... في ليلة الخميس العاشر من رمضان توفي أخونا ومحبنا النافع..."<sup>(٣٦)</sup> كتاب السعدي الذي ينتمي إلى طريقة كتابة تاريخية معتادة، مدخله كان عبارة عن رصد لأهمية التاريخ، ثم فصول أو أبواب توزعت على سير، غزوات مدن، فكر، تراجم... ومدخل هذا الكتاب فيه إدراج لأهم علامات المحتوى، أو التصميم الذي إختاره المؤلف في البداية، بحيث أورد في ختام المقدمة «ذكر ملوك السودان أهل سغي، وقصصهم واخبارهم وسيرهم وغزواتهم، وذكر تمبكت ونشأتها، ومن ملكها من الملوك، وذكر بعض العلماء والصالحين الذين توطنوا فيها وغير ذلك... وبالله تعالى استعين وهو حسبي ونعم الوكيل».<sup>(٣٧)</sup>

وبناءً على هذا الاختيار والرؤية فقد قسم مؤلفه إلى أبواب بلغ عددها (٣٨) باب، تباينت من حيث قضاياها وهذه الأخيرة (القضايا) هي التي أعاد ذكرها عند الانتهاء من كتابة مؤلفه في مرحلته الاولى (في جزئه الأول) فنجدته يقول في بداية الباب (٣٧) "وهنا انتهى القول بنا فيما أردنا من جمع ما تيسر- من أخبار ملوك أهل سغي ونبذة من ذكر قيمغ وأهل ملي، وملوك جني ونشأتها ونشأة تمبكت ومن ملكها، ودولة الأحمدية الهاشمية، المنصورية الملوية فيها، وذكر بعض العلماء والصالحين فيهما وأبائهم وقصصهم وسيرهم وغزواتهم وأيامهم وتواريخهم، ووفيات بعض أعيان البلاد والاحبة والإخوان وأهل القرابة...."<sup>(٣٨)</sup>

العاشر من ذي الحجة الحرام المكمل للعام ١٠٥٥ هـ توفي أخونا محمد الأمين كعت<sup>(٤٤)</sup>. "وفي يوم السبت خامس ذي الحجة الحرام المكمل للعام ١٠٥٦ هـ توفي سيد الوقت وبركته الشيخ المحب سيدي الشريف محمد بن الشريف الحاج الحسن<sup>(٤٥)</sup>". "وبقي في ذلك الوهن والضعف الى نهار الجمعة السادس من شوال عام ١٠٥٨ هـ عزل ومكت في الولاية سنة واحدة وتسعة أشهر"<sup>(٤٦)</sup>.

### ٣/٢- نقاط التقاطعات بين مؤلف تاريخ السودان ونماذج من المصادر السودانية والمغربية

للوقوف على عناصر تلاقي تباينات بين مؤلف "السعدي"، ونماذج من مصادر تقليدية في بلاد السودان الغربي والمغرب الأقصى. توجه إختياري إلى أحمد بابا التنبوكتي صاحب "نيل الابتهاج بتطريز الديواج"، وإلى الصغبر الافراني صاحب "زهوة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي". فيما يتعلق بالأول (١٥٥٦-١٦٢٧م) فقد كان مولده ونشأته بتمبوكتو، هو من أسرة عالمة بمكانة اجتماعية، عالية، اشتغل بالقضاء كانت له ثقافة فقهية إسلامية واسعة، عاش بعض المحن في مسيرة حياته يظهر ذلك بوضوح في كتاباته، سيرته ومؤلفاته. فقد حوصرت عشيرته (بني اقيت) وتم التنكيل بها وسياقتها بالقيود إلى مراكش، فسجن لمدة سنتين (١٠٠٢-١٠٠٤هـ). وهذا الانتقال كلف التنبوكتي فقداناً عدداً من كتبه ومجلداته، أثناء الرحلة من السودان إلى مراكش، كما أن عشيرته أصيبت بالطاعون. وقد تضايقت التنبوكتي في مراكش، لدرجة أنه قال عند مغادرتها "لا رديني الله إلى هذا المعاد ولا رجعني إلى هذه البلاد"<sup>(٤٧)</sup>.

وهذه الرحلة التي كانت من السنوات الصعبة في حياة التنبوكتي، كانت الأهم على مستوى العطاء والشهرة. بحيث سنة ١٠٠٥ هـ أكمل مؤلفه "نيل الابتهاج"، واسترجع بعض مافقده من الكتب أثناء رحلته إلى مراكش من تمبوكتو. كما أنه تواجد في المغرب الأقصى في فترة ازدهار الدولة السعدية، حيث عصر- أحمد المنصور الذهبي الذي كانت تُدعم فيه العلوم والجهود العلمية. ومؤلفات التنبوكتي كثيرة، حتى قيل أنه كان مطبوعاً على التأليف<sup>(٤٨)</sup>. إنما الأكثر شهرة فهو "نيل الابتهاج"، الذي ورد سبب إقدامه على كتابته في المقدمة، وهذا تقليد عند كل مؤرخي هذه الفترة وحتى قبلها، ليس فقط ببلاد السودان بل حتى في المغرب الأقصى والنموذج عند بن خلدون<sup>(٤٩)</sup>. وفي آخر كتاب "نيل الابتهاج"، خصص المؤلف جانباً لذكر مصادره وعددهم كبير ومنهم ابن خلدون.

أما فيما يتعلق بالصغبر الافراني، فقد عاش ما بين (١٦٦٩-١٧٤٠)، فترة نهاية الدولة السعدية وبداية زمن الدولة العلوية. أحيطت هذه الشخصية التاريخية بكثير من الاهتمام من قبل باحثين ونقاد وبالتالي هناك خلافات حول ترجمته<sup>(٥٠)</sup>. تكوينه ارتبط في البداية بمنطقة سوس ثم مراكش، وهنا يلتقي من حيث تواجده بهذه المدينة مع التنبوكتي. عاش بعض الأزمات في حياته أثناء انتقاله إلى فاس لتعميق التعلم والتكوين، وهذه الأزمة لم تكن مع المخزن كما حصل عند التنبوكتي، بل مع الفقهاء المتمزتين الراضين للتجديد وتحرير الفكر، وهذه الأزمة والصراعات امتدت لحوالي عقد من الزمن<sup>(٥١)</sup>. وكما الحال عند

محمود زرقون ....<sup>(٣٥)</sup> أورد السعدي كذلك ضمن ما أورده حول تأثيره باستاذة أحمد بابا التنبوكتي فقال «وسمعت العلامة الفقيه أحمد بابا رحمه الله أنه قال...»<sup>(٣٦)</sup>. وفي نص آخر أورده "السعدي" جاء فيه «كذا وجدته مضبوطاً في ذيل الديواج للعلامة الفقيه أحمد بابا رحمه الله». ويضيف «وقد رأيت في كتاب الذيل»<sup>(٣٧)</sup>.

إنما ما يؤكد حقيقة تأثر واعتماد المؤلف على أستاذه أحمد بابا، كونه خصص له باباً من أبواب كتابه (الباب العاشر) وهو الوحيد ضمن تراجمه وبهذه العناية. وضمن المصادر التي اعتمدها "السعدي" هناك ابن بطوطة (١٣٠٣-١٣٧٧م) وهذا الأخير كان قد قام برحلة سنة ١٣٥٣م إلى منطقة مالي، ومكث بها مدة من الزمن فسجل ما كان يصادفه، وهو في بلاد السودان الغربي وفي زمن السلطان منسي موسى<sup>(٣٨)</sup>.

ويقول "السعدي" بما يثبت اعتماده على ابن بطوطة، قال أبو عبد الله محمد ابن بطوطة في رحلته رحمه الله تعالى، كان السلطان منسي موسى ولما حج نزل بروض لسراج الدين بن الكويك، أحد كبار التجار من أهل الاسكندرية ببركة الحبش خارج مصر، وبها نزل السلطان واحتاج إلى مال فتسلمه من سراج الدين هذا. وتسلف منه امرأه أيضاً وتوجه سراج الدين بنفسه لاقتضاء ماله ومعه ابن له، فلما وصل تنبكت اضافه اسحاق الساحلي، فكان من القدر موته تلك الليلة قال فيه وبهذه البلدة قبر ابن اسحاق<sup>(٣٩)</sup>. اعتمد "السعدي" كذلك على صاحب كتاب الحلال الموشية في ذكر الاخبار المراكشية وهو مؤرخ مجهول، وهكذا فقد أورد "وهم المسوفة ينتسبون إلى صنهاجة، وصنهاجة يرفعون أنسابهم إلى حمير كما في كتاب الحلال الموشية في ذكر الأخبار المراكشية"<sup>(٤٠)</sup>. استحضرت "السعدي" هذا المصدر التاريخي المغربي، عند حديثه عن التوارق في عرض نسبهم وكان ذلك في الباب الثامن. ضمن مصادر المادة المعرفية في كتاب تاريخ السودان، اعتمد "السعدي" على الرواية الشفوية والمعينة والمشاهدة. يظهر ذلك بوضوح من خلال هذا المقتطف، "وهي كائنة إلى الآن بالمشاهدة والمعينة ولما اسلم (يقصد السلطان كبر) خرب دار السلطنة وحولها مسجدا لله تعالى وهو الجامع، وأنشأ الأخرى لسكناهم، وهي في مجاورة الجامع من جهة المشرق.... وقيل أن في ذلك الأرض سبعة آلاف قرية وسبعة وسبعين قرية متقاربة بعضها إلى بعض"<sup>(٤١)</sup>.

وفي مقتطف آخر يقول "وفي أواسط ذي القعدة الحرام من هذا العام (يقصد ١٠٣٨ هـ. سافرت إلى سيد الأخ المحب الفاضل الفقيه محمد سنت قاضي ماسنة لزيارته، فطلبها مني منذ أعوام لم يقدرها الله سبحانه، إلا في هذا الوقت وهو أول رؤيتي بتلك الجهة"<sup>(٤٢)</sup> ومن خلال ما اعتمده من معاناة ومشاهدة في صلاته ولقاءاته والمهام التي تكلف بها، جاء مؤلفه غنياً بالأخبار، وهو ما أكده عبد الهادي النازي الذي قال: "وتتحدث رواية أخبار السودان للسعدي"<sup>(٤٣)</sup>. وهنا عوض تاريخ السودان للسعدي تم ذكر رواية أخبار السودان للسعدي، وهذا البعد الخبري الذي تأثر به من خلال مصادره ظهر بشكل كرونولوجي، بحيث يحضر اليوم والشهر والسنة. في هذا الإطار يقول مثلاً "وليلة الأحد

وعند المقارنة بين السعدي والصغير الافراني من خلال مؤلفيهما، فهناك أولاً الفارق على مستوى الزمن. فالأول عاش ما بين (١٥٩٦-١٦٥٥م) والثاني ما بين (١٦٦٩-١٧٤٠) ولكل فترة تميزها وأحداثها وشروطها التاريخية. إن على مستوى بلاد السودان الغربي، أو المغرب الأقصى، فأزمة وظروف الانتقال من بلاد سوس بالمغرب الى مراكش، ومنها إلى فاس عند الافراني علمته الشئ الكثير، وكانت فترة صعبة دفعتة للكتابة وهنا يلتقي مع السعدي، في اكتساب وتوسيع المعارف عن طريق الرحلات والزيارات.

مؤلفات الافراني كثيرة هي بحوالي الأربعين مؤلفاً بخلاف السعدي، وهناك تقطع في الكتابة عند الطرفين ومعهم التنبوكتي أحمد بابا كذلك إنما بشكل باهت، وهنا يظهر أن الكتابة التاريخية عموماً تتأثر بالظروف الذاتية والسياسية والاجتماعية. الكتابين " تاريخ السودان للسعدي " أو "نزهة الحادي" للافراني، إخراجهما للنشر وللطبوع كان على يد المستشرق الفرنسي هوداس. وسواء عند التنبوكتي أو عند الافراني، فالسعدي يلتقي معهما في حديثه عن أهمية التاريخ في مقدمة الكتاب. وهنا يظهر نوع من النمطية في الكتابة التاريخية خلال هذه الفترة، خاصةً على مستوى مقدمات المؤلفات، بدأ بابن خلدون إلى أحمد بابا إلى السعدي إلى الافراني.... والاختلاف الملموس بين هؤلاء هو المصادر المعتمدة ونوعيتها. فالتنبوكتي كتب في التراجم.. والافراني حول أخبار الملوك الذين حكموا المغرب خلال القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي، من عهد المنصور الذهبي إلى المولي إسماعيل العلوي.<sup>(٦١)</sup> أما السعدي فقد تم تصنيفه من طرف الباحثين ضمن الاخباريين، وضمن كتب الحوليات البلاطية.

التنبوكتي فقد كان التأليف عند الافراني غزيراً في الأدب والتاريخ، بحوالي أربعين مؤلفاً الأهم فيها هو: "نزهة الحادي" ويظهر أن تأليف هذا الكتاب تم على مراحل متقطعة، ما يتأكد بشكل واضح في خاتمة الكتاب. حيث أشار إلى أنه أنجز مؤلفه في مرحلتين عندما تغلب على صعابه التي مر بها. بحيث يقول: "وقد كنت جمعت محصلة في بطائق فإذا رمت تهديبه، عاق منه عائق ولما أملت بنا تلك المصيبة الفادحة نبذت تلك التقاليد بزوايا الهجران حتى نسجت عليها عناكب النسيان".<sup>(٥٢)</sup>

وسبب الاقدام على الكتابة أوردتها الافراني في المقدمة (نظرتة إلى التاريخ، الأهمية والقيمة) والمنهج الذي اختاره في الكتابة واتبعه تحدث عنه في مؤلفه.<sup>(٥٣)</sup> وحول المرحلة السعدية التي أرخ لها الافراني، اعتمد فيها على رواية شفوية ومكتوبة، ومصادره المكتوبة كان فيها الأساسي والثانوي.<sup>(٥٤)</sup>

ويظهر طابع الإخبار عند الافراني من خلال هذا المؤلف، في اعتماده على جمع المعلومات على اختلاف تناقضاتها ومقارنتها مع بعضها.<sup>(٥٥)</sup> أين هو السعدي من هؤلاء؟ وما هو تميزه؟ وماهي نقط التلاقي والاختلاف مع هذه التجارب التاريخية السودانية والمغربية؟ يلتقي مع أحمد بابا التنبوكتي من حيث مسقط الرأس بمدينة تومبوكتو وفي بعض الصعاب التي عاشها إنما بشكل مختلف من حيث المدة والنوعية. فالسعدي ظل في بلاده السودان الغربي، وعاش فترة حرجة مع أحد الباشوات المغاربة، إنما تم انصافه في الأخير وتحول إلى منصب هام خدم فيه السلطة والمخزن، وتمكن من توسيع آفاقه المعرفية وعلاقاته وبالتالي الإقدام على الكتابة التاريخية.<sup>(٥٦)</sup> أخذ عن أحمد بابا التنبوكتي بحيث عندما توفي هذا الأخير (١٦٢٧م) كان السعدي في عقده الرابع. من حيث الأصول والنشأة والانتماء الأسري، هناك العلم وممارسة القضاء والرحلة، وبغض النظر عن دوافعها سواء عند السعدي أو التنبوكتي، فقد كان لها دور كبير في التكوين والاطلاع. فالتنبوكتي بدأ كتابه الشهير "نيل الابتهاج" في تومبوكتو وأنهاه بمراكش.<sup>(٥٧)</sup> والسعدي استفاد من رحلاته وزياراته رفقة الباشوات، فتوسعت معارفه التاريخية والجغرافية والاجتماعية. وبنفس ما أورد التنبوكتي حول علم التاريخ وأهميته في مقدمة "نيل الابتهاج"، وضع السعدي مقدمة لكتابه "تاريخ السودان" تحدث فيها عن أهمية التاريخ فقال "ولما رأيت انقراض ذلك العلم ودروسه وأنه كبير الفوائد كثير الفرائد...".<sup>(٥٨)</sup> وهنا يلتقي السعدي مع أستاذه أحمد بابا وهذا الأخير بابن خلدون، وإذا كان أحمد بابا قد خصص جانباً لذكر مصادره، فعند السعدي وردت هذه المصادر ضمناً في المحتويات. ومؤلفات التنبوكتي كثيرة ومعظمها في مجال التراجم.<sup>(٥٩)</sup>

بينما في كتاب تاريخ السودان، التراجم حضورها باهت مع حضور قوي للحوليات والأخبار. فالتنبوكتي لم تكن له تقطعات في كتابة مؤلفه الشهير، اللهم الانتقال من تومبوكتو إلى مراكش، بينما السعدي لم يغير مكان الإقامة لكن كان هناك توقف عن الكتابة قبل أن يعود من جديد. مصادر التنبوكتي كثيرة ومتنوعة، وهو ما يظهر محدوداً عند السعدي مع التقاء الرجلين في اعتماد الرواية الشفوية، بحكم أن المجتمع السوداني مجتمع رواية شفوية وليس كتابة.<sup>(٦٠)</sup>

## الهوامش:

- (1) لمزيد من الأضواء انظر: كتاب "العلوم الانسانية والاجتماعية بالمغرب" طروحات ومقاربات، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٩٨.
- (2) العروبي عبد الله، "علاقات المغرب بأفريقيا ملاحظات أولية"، مجلة دراسات، كلية الآداب والعلوم الانسانية، أكادير العدد الثاني، ١٩٨٨، ص ١٧.
- (3) المرجع نفسه، ص ٢٠.
- (4) الشكراوي خالد، فاس من خلال المصادر السودانية قراءة أولية، سلسلة ندوات ومناظرات ٣، منشورات كلية الآداب سايس فاس، ندوة فاس وأفريقيا، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٦، ص ٢٨.
- (5) التوفيق أحمد، العلاقات بين المغرب وأفريقيا الغربية، منشورات عكاظ، جمعية موظفي كلية الآداب الرباط، ١٩٩٢، ص ١٤ - ١٥.
- (6) محمد الغربي محمد، بداية الحكم المغربي في بلاد السودان الغربي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والاعلام، العراق ١٩٨٢، ص ٥٣٤.
- (7) المرجع نفسه، ص ٥٣٥ - ٥٣٦.
- (8) في الفصل (٣٧) هناك إشارة واضحة إلى إنهاء المؤلف بذكر تاريخ هذه العملية، وهي سنة ١٠٦٣ هـ، بحيث يقول "وهنا انتهت المجموعة بحمد الله وحسن عونه، بتاريخ نهار الثلاثاء .... من ذي الحجة الحرام، تمام الثالث والستين والالف، والحمد لله، رب العالمين وهو حسبي ونعم الوكيل (ص ٣١٤ - من مؤلف تاريخ السودان) والعودة الثانية للكتابة وكأنها بداية لجزء ثان في الفصل ٣٨، بدأها المؤلف بقوله "الحمد لله وحده ومما حدث بعدما مضي من التاريخ..." (ص ٣١٥ من كتاب تاريخ السودان).
- (9) يظهر أنه من حيث المنهجية، وعرض المادة التاريخية، وترتيبها هناك تشابه مع معالم المنهج المعتمد، عند المؤرخين المغاربة خلال نفس الفترة (الافرناني، الفشتالي).
- (10) السعدي عبد الرحمان، تاريخ السودان، تحقيق ونشر هوداس ١٨٩٨، طبعة جديدة، مكتبة أمريكا والشرق، باريس ١٩٨١، ص ١ - ٢.
- (11) السعدي، تاريخ السودان، م سابق، ص ٩٩ - ١٠٠.
- (12) المرجع نفسه، ص ١٢٠.
- (13) المرجع نفسه، ص ٥٩ - ٦٠.
- (14) Assadi, «Tarikh es-Soudan», Texte Arabe Edité et Traduit par Houdas, Avec la Collaboration de Benoit Lib.d'Amerique et d'Orient, 1981, p 217.
- (15) Lt. Colonel.H. De Castries , la Conquete du Soudan Par Elmansour, Hesperis ,vol. III, 1923. p445.
- (16) السعدي، م. سابق، ص ١٧٩.
- (17) العلوي القاسمي هاشم، "أصول الروابط التاريخية بين بلاد المغرب وغرب أفريقيا في العصور الوسطى"، مجلة كلية الآداب، فاس، عدد ٥ خاص، ١٩٨٩، ص ١٢٩.
- (18) Ahmed Boucharareb. «le Maroc et l'Afrique dans le Contexte des Grandes Decouvertes .Pub. de l'Institut des Etudes Africaines, 1992 , p3.
- (19) التوفيق أحمد، معهد الدراسات الأفريقية في العلاقات بين المغرب وأفريقيا الغربية، م. سابق، ص ١٦.
- (20) السعدي، م. سابق، ص ٢٠.
- (21) شوقي عطا الله الجمل، "الحضارة الاسلامية العربية في غرب أفريقيا"، مجلة المناهل، مطبعة فضالة، العدد السابع، وزارة الثقافة، الرباط، ١٩٧٦، ص ١٥٤.
- (22) الغربي محمد، بداية الحكم المغربي في بلاد السودان، م. سابق، ص ٥٣٨.
- (23) التوفيق أحمد، م. سابق، ص ١٦ - ١٧.
- (24) السعدي، م. سابق، ص ٢.
- (25) المرجع نفسه، ص ٦٤.
- (26) المرجع نفسه، ص ٢٩٦.

كتاب تاريخ السودان للسعدي من المصادر التاريخية التقليدية، التي توزع محتواها على ما هو إخباري تجاه المغرب الأقصى، إنما أساساً السودان الغربي، بكيفية خاصة خلال النصف الأول من القرن السابع عشر - الميلادي. والمؤلف أسهم في التعريف بالأماكن والأحداث الأساسية وبالوقائع. وهو بحمولته المعرفية كان له أثره على مستوى رصد أحوال بلاد السودان ضمن متغيراتها الداخلية، خلال هذه الفترة من تاريخ المغرب الأقصى، التي تحكمت فيها امتدادات سعديّة مجالية، وتواصل كان فيه التأثير والتأثر بين المنطقتين. والمهم في هذا المؤلف كونه اعتمد اللغة العربية التي توسعت في بلاد السودان، مع دخول الاسلام إليها عبر قرون. كما أن الكتاب هو إنتاج محلي وفق رؤية سودانية للتحويلات والأحداث<sup>(١٢)</sup> وعليه فهو قيمة علمية مضافة هامة بالنسبة لتاريخ المغرب خلال العصر الحديث.

والمؤلف كمتن كان موضوع اهتمامات ودراسات، ومصدرًا لعدد من المؤرخين التقليديين كما الحال بالنسبة لأبي عبد الله محمد الولاقي البرتلي (القرن الثامن عشر الميلادي) وهو صاحب كتاب "فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور". بحيث أوردت بعض الدراسات والأبحاث أن الولاقي في الكثير من معلوماته وإفاداته، اعتمد على المؤرخ عبد الرحمان السعدي التيمبوكتي<sup>(١٣)</sup> و"هنري دو كاستري" بدوره أورد أن ما جاء عند "ابن خلدون" حول أهالي حوض النيجر، فيه اهتمام كبير لما أورده السعدي في مؤلفه<sup>(١٤)</sup> ويتحدث عبد الله العروبي عن إمكانية الاستفادة العلمية، في الدراسات والأبحاث التاريخية من مصادر متوفرة حول العلاقات بين المغرب وبلاد السودان. إنما عبر إعادة النظر فيها ونقدها على ضوء مناهج عصرية، وذلك للتمكن من تأويل أنواع الروايات الشفوية<sup>(١٥)</sup>.

(٦٣) صمدي محمد سعيد، قراءة في فتح الشكور في المعرفة أعيان علماء التكرور، لأبي عبد الله محمد الولاقي البرتلي، مجلة المناهل، وزارة الثقافة، الرباط، العدد ٧١-٧٢، السنة ٢٠٠٤، ص ٣٤٢.  
(٦٤) H.de Castries. Ibid. P. 435.  
العروي عبد الله، مجلة الدراسات، كلية الآداب والعلوم الانسانية، أكادير، العدد (٢)، السنة ١٩٨٨، ص ٢٠.

- (٢٧) المرجع نفسه، ص ٢.  
(٢٨) المرجع نفسه، ص ٣٠٣-٣٠٤.  
(٢٩) الشكراوي خالد، فاس من خلال المصادر السودانية قراءة أولية، منشورات معهد الدراسات الأفريقية الرباط، وكلية الآداب ساسي فاس، "فاس وإفريقيا"، طبعة أولى، ١٩٩٦، ص ٢٨.  
(٣٠) السعدي، م. سابق، ص ٢٩٤.  
(٣١) السعدي، م. سابق، ص ٣١٥.  
(٣٢) انتهى أحمد بابا التمبوكتي من كتابة مؤلفه نيل الابتهاج بمراكش في ٢٧ دجنبر ١٥٩٦، وهو تاريخ ميلاد المؤرخ عبد الرحمان السعدي.  
(٣٣) لفي برونسال، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلافي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ ٥، الرباط، ١٩٧٧، ص ١٧٩.  
(٣٤) التوفيق أحمد، العلاقات بين المغرب وأفريقيا الغربية، م. سابق، ص ١٦.  
(٣٥) السعدي، م. سابق، ص ٩.  
(٣٦) المرجع نفسه، ص ٣٥.  
(٣٧) المرجع نفسه، ص ٦٤.  
(٣٨) علوي حسن حافظي، "علاقة المغرب الأقصى بمالي من خلال رحلة ابن بطوطة"، مجلة المناهل، عدد ٥٣، وزارة الثقافة، الرباط، ١٩٩٦، ص ١١٩.  
(٣٩) السعدي، م. سابق، ص ٨.  
(٤٠) المرجع نفسه، ص ٣٥.  
(٤١) المرجع نفسه، ص ١٣.  
(٤٢) المرجع نفسه، ص ٢٣٠.  
(٤٣) التازي عبد الهادي، الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، المجلد الثالث دار نشر المعرفة، مطبعة المعارف الجديدة. الرباط طبعة اولى، ٢٠٠١، ص ٩٨.  
(٤٤) السعدي، م. سابق، ص ٢٧٦.  
(٤٥) المرجع نفسه، ص ٢٧٨.  
(٤٦) المرجع نفسه، ص ٢٨٧.  
(٤٧) التمبوكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات دار الكتب، طرابلس، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠، ص ١٥.  
(٤٨) المرجع نفسه، ص ١٨.  
(٤٩) ابن خلدون ع. الرحمان، المقدمة، دار الجيل، بيروت، بدون سنة، ص ٤.  
(٥٠) مزين محمد، "من مؤرخي الأشراف اليفراني صاحب النزهة"، مجلة المناهل، عدد ٣٦، وزارة الثقافة، الرباط، ١٩٨٧، ص ٢٠٦-٢٠٧.  
(٥١) المرجع نفسه، ص ٢١٣.  
(٥٢) الافراني الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تصحيح العبارات التاريخية للسيد هوداس. مدرس اللغة العربية بباريز، طبعة ثانية، مكتبة الطالب، الرباط، ص ٣١٠. (الطبعة الأولى تمت على يد بردين صاحب مطبعة بمدينة أنجي سنة ١٨٨٨).  
(٥٣) المرجع نفسه، ص ٢.  
(٥٤) مزين محمد، م. سابق، ص ٢٣٥-٢٣٦.  
(٥٥) مزين محمد، ص ٢٢٧.  
(٥٦) التوفيق أحمد، م. سابق، ص ١٦-١٧.  
(٥٧) الغري محمد، م. سابق، ص ٥٤١.  
(٥٨) السعدي، م. سابق، ص ٢.  
(٥٩) انظر أهم هذه المؤلفات مرتبة في كتاب نيل الابتهاج.../ تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، م. سابق، ص ١٩.  
(٦٠) العروي عبد الله، م. سابق، ص ٢٠.  
(٦١) مزين محمد، م. سابق، ص ٢٣١.  
(٦٢) التوفيق أحمد، م. سابق، ص ١٥.